وقوله تعالى (وطهر بيتي) مؤذن بكلام مقدر دل عليه (بوأنا لإبراهيم مكان البيت) . والمعنى : وأمرناه ببناء البيت في ذلك المكان وبعد أن بناه قلنا لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي .

وإضافة البيت إلى ضمير الجلالة تشريف للبيت . والتطهير : تنزيهه عن كل خبيث : معنى كالشرك والفواحش وظلم الناس وبث الخصال الذميمة وحسا من الأقذار ونحوها أي أعدده طاهرا للطائفين والقائمين فيه .

والطواف المشي حول الكعبة وهو عبادة قديمة من زمن إبراهيم قررها الإسلام وقد كان أهل الجاهلية يطوفون حول أصنامهم كما يطوفون بالكعبة .

والمراد بالقائمين الداعون تجاه الكعبة ومنه سمي مقام إبراهيم وهو مكان قيامه للدعاء فكان الملتزم موضعا للدعاء . قال زيد بن عمرو بن نفيل : .

عذت مما عاذ به إبراهيم ... مستقبل الكعبة وهو قائم والركع : جمع راكع ووزن فعل يكثر جمعا لفاعل وصفا إذا كان صحيح اللام نحو : عذل وسجد .

والسجود : جمع ساجد مثل : الرقود والقعود وهو من جموع أصحاب الأوصاف المشابهة مصادر أفعالها .

(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق [27] ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم ا في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير [28]) (وأذن) عطف على (وطهر بيتي) . وفيه إشارة إلى أن من إكرام الزائر تنظيف المنزل وأن ذلك يكون قبل نزول الزائر بالمكان .

والتأذين : رفع الصوت بالإعلام بشيء . وأصله مضاعف أذن إذا سمع ثم صار بمعنى بلغه الخبر فجاء منه آذن بمعنى أخبر . وأذن بما فيه من مضاعفة الحروف مشعر بتكرير الفعل أي أكثر الإخبار بالشيء والكثرة تحصل بالتكرار وبرفع الصوت القائم مقام التكرار . ولكونه بمعنى الإخبار يعدى إلى المفعول الثاني بالباء .

. ذلك إليه يبلغ أن أمكنه ما كل أي البشر كل يعم والناس A E

والمراد بالحج : القصد إلى بيت ا . وصار لفظ الحج علما بالغلبة على الحضور بالمسجد الحرام لأداء المناسك . ومن حكمة مشروعيته تلقي عقيدة توحيد ا بطريق المشاهدة للهيكل الذي أقيم لذلك حتى يرسخ معنى التوحيد في النفوس لأن للنفوس ميلا إلى المحسوسات ليتقوى الإدراك العقلي بمشاهدة المحسوس . فهذه أصل في سنة المؤثرات لأهل المقصد النافع .

وفي تعليق فعل (يأتوك) بضمير خطاب إبراهيم دلالة على أنه كان يحضر موسم الحج كل عام يبلغ للناس التوحيد وقواعد الحنيفية . روي أن إبراهيم لما أمره ا بذلك اعتلى جبل أبي قيس وجعل إصبعيه في أذنيه ونادى : (إن ا كتب عليكم الحج فحجوا) . وذلك أقصى استطاعته في امتثال الأمر بالتأذين . وقد كان إبراهيم رحالة فلعله كان ينادي في الناس في كل مكان يحل فيه .

وجملة (يأتوك) جواب للأمر جعل التأذين سببا للإتيان تحقيقا لتيسير الحج على الناس . فدل جواب الأمر على أن ا ضمن له استجابة ندائه .

وقوله (رجالا) حال من ضمير الجمع في قوله (يأتوك) .

وعطف عليه (وعلى كل ضامر) بواو التقسيم التي بمعنى (أو) كقوله تعالى (ثيبات وأبكارا) إذ معنى العطف هنا على اعتبار التوزيع بين راجل وراكب إذ الراكب لا يكون راجلا ولا العكس . والمقصود منه استيعاب أحوال الآتين تحقيقا للوعد بتيسير الإتيان المشار إليه بجعل إتيانهم جوابا للأمر أي يأتيك من لهم رواحل ومن يمشون على أرجلهم .

ولكون هذه الحال أغرب قدم قوله (رجالا) ثم ذكر بعده (وعلى كل ضامر) تكملة لتعميم الأحوال إذ إتيان الناس لا يعدو أحد هذين الوصفين .

و (رجالا) : جمع راجل وهو ضد الراكب .

والضامر : قليل لحم البطن . يقال : ضمر ضمورا فهو ضامر وناقة ضامر أيضا . والضمور من محاسن الرواحل والخيل لأنه يعينها على السير والحركة .

فالضامر هنا بمنزلة الاسم كأنه قال : وعلى كل راحلة